

أخبار وأفكار

المرحوم الاستاذ نخلة زريق

نجح مجمعنا بفقد عضو من اعضاء الشرف فيه كان معروفاً بأدابه وإخلاقه وغيرته على اللغة فاقترحنا على صديقه صاحب التوقيع ان يكتب كلمة عنه فلبى فنشكر له حفاوته به . وهذا ما كتبه الينا :

أرى من الواجب علي وقد عاشرت المرحوم سنة كاملة في تعريب كتب وتهذيب أخرى ان اقضي حقه بعد وفاته ولقد سعت ان استقصي آثاره من محبيه في القدس فكان منهم الوعد الجميل ولكن لم ائل الى اليوم شيئاً . ففاوضت الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف احد اعضاء المجمع لما كان في وطنه زحلة فارس الى ترجمته منقولة من كتابه (الدر الثمين في تراجم ادباء القرن العشرين) فضممتها الى ما عرفته عن الفقيه وكتبت هذه العجالة : كان المرحوم عنيباً مجتهداً في اصله وفي لغته وفي زيه وفي وطنيته . واما الاصل فهو كما ذكر في (الدر الثمين) الموما اليه من اسرة زريق القديمة في سوريا وهي تنتمي الى عرب الزريقات الذين يخيمون اليوم في الكرك وضواحيها والمعروفين في ثغور سورية ولا سيما طرابلس وما اليها منذ القرن السادس للهجرة . وهي فرعان مسلم ومسيحي . فمن المسيحي بطون لاسرة زريق في طرابلس ومرسين . ونشأ منهم نخذ في بيروت في محلة مزرعة العرب (ولعلها نسبت اليهم) عرفوا بالبسالة ومن هؤلاء تسلسل المترجم :

هو نخلة بن جرجس زريق ولد في بيروت نحو سنة ١٨٥٩ م . ودرس في مدارس طائفة الارثوذكسية فائقن العربية وألم بالانكليزية وحضر مجالس كبار رجال النهضة الحديثة في بيروت فنبغ في لغته التي كان ضليعاً فيها قل من يباريه حافظاً للقرآن والحديث واشعار العرب وامثالها وحوادثها لا يمر به كلمة لغوية الا ويستشهد لها اما بآية أو حديث أو شعر أو مثل . وله رسائل كثيرة عند اخوانه وهي في اسلوب عربي متين . وتركيب رصين لا يرى فيها لكنة اعجمي ولا لحن عامي . ولو جاز ان اذكر شيئاً مما كتب

لاخوانه الذين لم يزالوا أحياء يرزقون لذكرت له من البدائع فنوناً . ولم أرو له مع الاسف من شعره شيئاً . لأن له نظماً رشيقاً .

اما زيه فكان العربي لا يستعيز عنه ولو باحسن الازياء مع انه نشأ في بيروت حيث تكثر الازياء الغربية وعاشر الاوربيين مدة طويلة ولم يغير ذلك شيئاً من مبداه . ولقد مال الى الثقان فن التدريس واشتهر بأسلوبه المفيد وقضى نحو ربع قرن في السككية الانكليزية المخصصة لتدريس المعلمين في القدس محتكاً باربابها اراقين نائلاً لديهم منزلة عالية فتخرج عليه مئات هم اليوم من صفوة الادباء والوجهاء والعمال فقام بعمله احسن قيام .

ولما كانت الحرب الكبرى أبعد الى دمشق وبقي فيها الى زمن الاحتلال الاول فانتهج عضواً في لجنة التهذيب للكتبة العسكرية في المدرسة الحربية وكان زميلنا فيها الشيخ عبد القادر المبارك . فعرفت الفقيه ملتقاً بعباءته لم يهجمه ان يكون بين يديه رئيس الاركان الحربية او بين يدي القائد الاعظم فلا يخرج عن عباءته فخدم عمله هذا بكل اجتهاد وحكمة وبعد سنة ترك العمل وعاد الى القدس مدرساً حيث كان فاسفنا لبعده كل الاسف .

اما الوطنية العربية فكان فيها من رجال العقل والحكمة لا من رجال الخيال والتمهور . وكان قليل الكلام فيها حتى اذا انس من بعضهم كتماناً ابدى آراءه الحكيمه فيها . واما الدين فكان متصلباً فيه لكنه غير متعصب . فلا ينظر الى الاديان الاخرى الا بنظر حرمة . وقد كان برأ بخلق الله على اختلاف نجارهم ونحلهم . يجب ان يعاون حتى اعداءه . ويحسن حتى الى من اساء اليه .

وهكذا صرف حياته عالماً عاملاً الى ان توفي عاجزاً غريباً في القدس الشريف بداء المعدة الذي كان مبتلي به وذلك في ٢١ تموز سنة ١٩٢١ عن نحو ٦٢ سنة انفقها في خدمة العلم والمدارس والتربية والمطالعة ودفن فيها بموكب مهيب وحفلة تليق بهوة . اسف عليه كل من عرفه لما اشتهر به بينهم من الآداب الرائعة . وكان طويل القامة رقيق الجسم اشقر اللون قد وخطه شيب رحمه الله وعزى الادب بفقده .

رشيد بقدونس

دمشق :